

لقد مضى ابن مضاء (ت ٥٩٢ هـ) يبرهن على فساد نظرية العامل فيذكر ما ترتب عليها من فساد الصيغة العربية للعوامل المحذوفة لعلم الخطاب بها كقولك: زيدٌ في جواب: من جاء؟

على تقدير: جاء زيدٌ.

فزيديْ فاعل لفعل محذوف، أو لمجرد الافتراض كقول النحاة في مثل قولهـ مـ : (الكتاب قرأتهـ) إنـ الكتابـ مفعولـ بهـ لفعلـ محذوفـ والتـقديرـ قرأـ الكتابـ قرأـتهـ. وفيـ قولـناـ: ياـ عبدـ اللهـ يجعلـونـ المنـاديـ مـفعـولاـ بـهـ لـ فعلـ محـذـوفـ تـقـدـيرـهـ أـدعـوـ عـبـدـ اللهـ أـوـ أـنـاديـ عـبـدـ اللهـ، وهذا الافتراض يخرجـ الجـملـةـ منـ كـوـنـهـ إـنـ شـائـيـةـ وـيـجـعـلـهـاـ، جـمـلـةـ خـبـرـيـةـ. فقدـ قـسـمـ ابنـ مـضـاءـ المـحـذـوفـاتـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ:

١ـ محـذـوفـ لـاـ يـتـمـ الـكـلـامـ إـلـاـ بـهـ، وـمـنـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: (مـاـذـاـ أـنـزـلـ رـبـكـمـ قـالـواـ خـيـرـاـ) (١١٢ـ).

٢ـ محـذـوفـ لـاـ حـاجـةـ بـالـقـوـلـ إـلـيـهـ بـلـ، هوـ تـامـ دـوـنـهـ وـإـنـ ظـهـرـ كـانـ عـيـباـ كـوـلـكـ: أـزـيدـاـ ضـربـتـهـ؟ قـالـواـ إـنـهـ مـفـعـولـ بـفـعـلـ مـضـمـرـ تـقـدـيرـهـ: أـضـرـبـتـاـ زـيـداـ؟ وـهـذـهـ دـعـوـيـ لـاـ دـلـيلـ عـلـيـهـاـ (١١٣ـ).

٣ـ مـضـمـرـ إـذـاـ ظـهـرـ تـغـيـرـ الـكـلـامـ عـمـاـ كـانـ عـلـيـهـ قـبـلـ إـظـهـارـهـ كـوـلـنـاـ: ياـ عبدـ اللهـ.. وـعـبـدـ اللهـ عـنـهـمـ مـنـصـوبـ بـفـعـلـ مـضـمـرـ تـقـدـيرـهـ: أـدـعـوـ أـوـ أـنـادـيـ وـهـذـاـ إـذـاـ ظـهـرـ تـغـيـرـ الـمـعـنـىـ وـصـارـ النـداءـ خـبـراـ وـكـذـلـكـ النـصـبـ بـالـفـاءـ وـالـلـوـاـ وـيـنـصـبـونـ هـذـهـ الـأـفـعـالـ الـوـاقـعـةـ بـعـدـ هـذـهـ الـحـرـوفـ (بـأـنـ) وـيـقـدـرـونـ (أـنـ) مـعـ الـفـعـلـ بـالـمـصـدـرـ (١١٤ـ).

ويتبـهـ ابنـ مـضـاءـ (تـ ٥٩٢ـ هـ) عـلـماـ أـنـ مـثـلـ هـذـهـ التـقـدـيرـاتـ تـؤـديـ إـلـيـ إـدـخـالـ الـفـاظـ زـائـدةـ عـلـىـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ غـيـرـ دـلـيلـ وـبـذـلـكـ يـدـخـلـ النـحـاةـ فـيـ الـقـرـآنـ مـاـ لـيـسـ مـنـهـ بـتـقـدـيرـاتـهـمـ الـخـيـالـيـةـ وـزـيـادـةـ الـمـعـنـىـ كـزـيـادـةـ الـلـفـظـ.

وـمـنـ بـنـيـ الـزـيـادـةـ فـيـ الـقـرـآنـ بـلـفـظـ أـوـ مـعـنـىـ عـلـىـ ظـنـ باـطـلـ فـقـدـ قـالـ فـيـ الـقـرـآنـ بـغـيـرـ عـلـمـ وـتـوـجـهـ الـوعـيـدـ إـلـيـهـ (١١٥ـ).

وـيـعـتـرـضـ ابنـ مـضـاءـ عـلـىـ تـقـدـيرـاتـ الـجـارـ وـالـمـجـرـورـ حـينـ يـقـعـاـ أـخـبـارـاـ أـوـ صـلـةـ أـوـ حـالـاـ وـأـنـ هـنـاكـ تـقـدـيرـاتـ لـاـ وـجـودـ لـهـاـ فـيـ أـسـلـوبـ عـرـبـيـ رـصـينـ وـإـنـماـ دـعـتـ إـلـيـهـاـ الصـنـاعـةـ

النحوية، ويرى أن متعلق الظرف كمتعلق الجار وال مجرور في عدم الحاجة إليه بل إن تقديره يفسد الكلام.

وعلى غرار هدم فكرة العامل الممحذف يدعوا ابن مضاء إلى هدم فكرة العامل الممحذف، فأنكر وجود ضمير مستتر في قوله: زيد قام، وقال: إن (قام) مثل (قائم) فكما نقول: زيد قائم نقول: زيد قام وكلاهما حال من الضمير المستتر ومن هنا ذهب إلى الألف والواو والنون في مثل: قاما وقاموا وقمن ليست ضمائر وإنما هي حروف علامة التثنية والجمع المذكر والجمع المؤنث لا تختلف عن تاء التأنيث الساكنة مثل: سافرت.

وإذا تقدم الفاعل المؤنث المجازي وجُب إثبات تاء التأنيث فتقول: الشمس طلعت، أما إذا تأخر الفاعل جاز إثباتها مثل طلعت الشمس وجاز حذفها مثل طلي الشمس وكذلك فعل العرب بأدوات التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعا فأثبتوها تارة فقالوا: قاما الرجال وقاموا الرجال وأكلوني البراغيث، وسموها لغة أكلوني البراغيث وهي لغة طيء وبلحارت بن كعب وأزد شنوة (١١٦)، ورفعوها تارة أخرى، كما تفعل غير